

تفتح الكرم



د. عبد الحليم القاسم

دار القاسم

دار القاسم للنشر والتوزيع، ١٤٣٣هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القاسم، عبد الملك بن محمد
تفريغ الكرب./ عبد الملك محمد القاسم. - الرياض، ١٤٣٣هـ

.. ص ١... سر

ردمك: ٢- ٦١٢- ٥٣- ١٦٦٠- ١٧٨
١- الوعظ والإرشاد
العنوان
ديوي ٢١٢
١٤٣٣/١٥٢١

رقم الإيداع: ١٤٣٣/١٥٢١
ردمك: ٢- ٦١٢- ٥٣- ١٦٦٠- ١٧٨

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى: ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

للصف والمراجعة وللإخراج برار القاسم

دار القاسم للنشر والتوزيع
المكتب الرئيس: هاتف: ٤٠٩٢٠٠٠ - فاكس: ٤٠٣٣١٥٠
فروع دار القاسم للنشر
السويدي: هاتف: ٤٢٤٣٥٥٥ - فاكس: ٢٦٧٦٧٠٩
الرياض: هاتف: ٤٤٥٢٠٤٥
جدة: هاتف: ٦٠٢٠٠٠٠ - فاكس: ٦٣٣٣١٩١
الدمام: هاتف: ٨٤٣١٠٠٠ - فاكس: ٨٤١٣٠١١
بريدة: هاتف: ٣٢٦٢٨٨٨ - فاكس: ٣٦٩٢٨٨٨
خميس مشيط: بجوار مجمع الحواشي - عمارة بن مشيط
هاتف: ٢٢٢٢٢٦٦ - فاكس: ٢٢٢٣٠٥٠

www.dar-alqassem.com
sales@dar-alqassem.com

المقدمة

الحمد لله فارج الهموم، وكاشف الغموم، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

خلق الله الإنسان في كبد، فتعثر به هموم وغموم، وكرب ومصائب، وهي تصيب المسلم والكافر، وتنزل على البر والفاجر.

وقد حاولت في هذا الكتيب أن أنتار أنواعاً من تفريج الكرب مما علمت وسمعت؛ لأهميتها في حياة الناس وعظم أجرها عند رب العالمين.. فهي داعية للاقتداء والاقتفاء.

والموفق من وفقه الله وسخره لنفع إخوانه المسلمين وإعانتهم ودفع ما نزل بهم. وليست الكرب في ضيق الحال وقلة المال فقط؛ بل من يحوز الأموال ويجد الخزائن لديه هموم وغموم، وعلية القوم لديهم من ذلك أكثر مما لدى الفقراء، وعندهم كرب في أنفسهم وأعمالهم وأولادهم..

وقد ذكرت قصصاً متنوعة الكرب حتى يُعلم أن هذا الباب واسع.

ولا يغيب عن المسلم أن إحسان المحسن هو من فضل الله الذي أحسن إليه. . فالكريم رزقك المال فأنتفق، وزانك بجاه فاشفع، وأكرمك بالعلم فابذل، وكساك حلة من الأدب فتواضع، ووهبك بسطة في الجسم فأعن، والأبواب كثيرة لا تخفى.

وسيجد المحسن من انشراح الصدر، وسعة الرزق، وعظم الأجر ما لا يعلمه إلا الله، وهذا كما قال العلماء مجرب مشاهد «ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة».

أسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

وتوقف عملي

رجل صاحب عائلة يكد كدًا.. ويكافح كفاحاً مريراً،
ليحصل على لقمة العيش التي لا تأتي إليه إلا بمشقة
وصعوبة.

لديه أبناء صغار وزوجة ووالدة كبيرة في السن.
يكد ويكدح ساعات الليل مع النهار للحصول على لقمة
له ولأهل بيته، ومصدر رزقه سيارة أجرة من النوع القديم
جداً، متهاكة الأطراف، هرمة الأعضاء والمفاصل، أكل
الدهر عليها وشرب. إذا سارت تصدر دخاناً كثيفاً وصوتاً
عالياً..

وكل من مرت السيارة بجواره يتساءل: كيف تسير هذه
إلى اليوم.

يومياً يغدو بها في الصباح ويعود عند الظهر، ويخرج
العصر ويأتي والصبية قد ناموا؛ فينام من شدة التعب
والإرهاق! بعد أن يُعد دريهمات ذلك اليوم...

لا يعرف الحياة إلا أنها عمل فحسب . . لا وقت لديه للراحة أو المؤانسة .

وما يجمعه من مبالغ تذهب في مصاريف السيارة وإصلاحاتها . . والقليل لطعامه وشرايه .

ويوماً تعطلت السيارة واحتاجت إلى مبلغ (خمسمائة ريال) لإصلاحها وإعادةها إلى الحياة مرة أخرى . . وليس معه من الريالات لا قليل ولا كثير! فقد صرف ما أدخره قبل أيام لعلاج والدته .

وكلما رأى أحد جيرانه سلم عليه ثم انحنى جانباً واستحى أن يذكر حاجته فيلزم الصمت ولا يبوح بشيء!

ومرت الأيام وقل الطعام وركبت الرجل الهموم والغموم . . . فلا مورد لهم ولا مصدر رزق إلا هذه السيارة!

سأل زوجته في مساء يوم بارد حزين: أليس لدينا ما نبيعه لنصلح السيارة!

تململت وأدارت وجهها وقالت: ليس إلا الأولاد نبيعهم .

قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! ثم رمى بنفسه على قطعة فراش في الأرض! وتحدرت دموعه على وسادته وربما أنه أخفى صوت البكاء.. فقد كان كالطفل.. ربما أنه بكى وأبكى!

استمرت الحال أيام..

ثم دخل الأسبوع الثالث حتى استوقفه جار بعيد لكنه من جماعة المسجد ويراه في صلاة الفجر على فترات متباعدة؛ فسأله عن حاله سؤالاً عابراً.

استجمع قواه وأخفى دمعته وأجاب وقد لامس جرحه، وأثار شجنه.

وقال بصوت ملئه الحسرة: منذ أسابيع والسيارة متعطلة وتحتاج إلى إصلاح وليس لدي من النقود ما يصلحها!
تعجب الرجل بشدة، ورفع بصره لينظر في قسماط وجهه وسأله: وكيف تعمل؟ ومن أين تأكل؟ وتشرب؟!

قال: بقيت في البيت بلا عمل انتظر الفرج.

فقال الرجل: بع سيارتك وسوف ييسر الله الأمر.

قال له: السيارة لا تتحرك، وليس هناك من يشتري

مثلها!

تفريج الكرب

فردد بصوت مرتفع .. ييسر الله أمرك . . . ييسر الله أمرك .
وتركه ومشى . . والرجل الفقير يُتبعه النظر حتى اختفى في
طريق طويل . . وعندها عاد إلى غمه وهمه ! وهناك أمام
ناظره غرفة مليئة بالصغار ! وأم سوف يحل موعد شراء
الدواء لها مساء الغد .

أهم الرجل ما سمع ، وسعى لجمع مبلغ لهذا المسكين
لشراء سيارة حتى يسر الله الأمر كما قال .

وبعد أيام إذا به يطرق الباب على الرجل الذي كان ينتظر
(خمسمائة ريال) فقط ، ويقدم له مظروفاً به ثلاثون ألف
ريال .

ناوله المظروف وقال : اذهب واشتر سيارة ، واسع إلى
رزق الله ولا تعد إليّ المبلغ . . هذا لك يا أبا فلان .

ثم ولى قافلاً .

وقف الرجل مدة مدهوشاً . . هل يلحقه؟ هل يجري
خلفه ! هل يُقبل رأسه . . ماذا يفعل؟

لكن خانته قدماء فلم يستطع أن يسير؛ وتوقف لسانه فلم
يستطع أن يقول شيئاً . . حتى تركه الرجل وحيداً في الطريق
وهرول إلى منزله .

دخل غرفته وزوجته تنظر . . وبكى بكاءً طويلاً وكلما تعجبت امرأته أخرج المبلغ وأراها إياه! هبط عليه من السماء رزق لم يتوقعه، كان يؤمل في إصلاح سيارته، فإذا به يفكر في شراء سيارة جديدة.

* فرج الله كربة من فرج كربته!!

ساق الله إليه الخير في قضاء حاجة هذا الفقير، ووقفه لتلمس حاجاته وسؤاله، ثم هو سعى في تفريج كربته وناوله ما جمعه.

وأسأل الله الرابعة؛ وهي القبول له على ما فعل وقدم.

* قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : «فإن للصدقة

تأثيراً عجبياً في دفع البلاء، ولو كانت من فاجر أو ظالم بل من كافر، فإن الله يدفع بها عنه أنواعاً من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرون به لأنهم جربوه»^(١).

أم الخير

أقبلت أيام شهر رمضان وهل هلاله؛ ولم يكن بين
 جوانحي إلا أن أكون كطائر صغير يحط رحاله في مكة .
 كان لهفي أن أقضى أياماً من الشهر المبارك في مكة بجوار
 الكعبة، أطل كل يوم على المسجد الحرام، وتقر عيني بصلاة فيه .
 ومنذ أن أشرقت أنوار الشهر وأنا أتبع بنظري وسمعي . .
 وسؤال دائم يراودني متى نسافر إلى تلك البقاع؟
 مضت العشر الأول ولم يتيسر السفر، وتبعثها العشر
 الثانية، وهاهي العشر الأواخر قد أقبلت، فأكثر من الدعاء
 أن تكون عشراً أصلي فيها مع المصلين في بيت الله الحرام .
 وكان الأمر كذلك .

أتم الله النعمة وفتحت الأبواب، فهذا ابني يريد أن يذهب
 للعمرة، وهذه ابنتي كذلك .
 وتسابق الجميع لطلب رفقتي معهم .

فاخترت الأطول منهم مكثاً في مكة، والأقرب سكناً
 من الحرم .

صمت اليوم الأول من العشر الأواخر في مكة .
وسكنت في سكن مقابل الحرم مباشرة ، وبه مُصلى للنساء ؛
متسع وكبير أقضي فيه جل وقتي من المغرب إلى العشاء .
ثم أمكث في مكاني حتى أصلي التراويح ، ويؤتى لي
بإفطار خفيف حتى أدرك صلاة القيام ، وبعدها أغادر إلى
شقتي في الأعلى ولا أعود للمصلى إلا من الغد .
المصلى مهياً بوسائل التبريد ومرتب ونظيف . . يطل على
الحرم مباشرة وترى جموع المصلين في منظر مهيب تقشعر له
الأبدان ، وغالباً ما يمتلئ بالنساء من جميع الأعمار .
ويلفت النظر كثرة الفتيات المصليات ، وكثرة الكتب
والمطويات عن الصيام والصلاة والصدقة وغيرها .
أنست بهذا المكان خاصة أنني تفرغت من القيل والقال
وكثرة الحديث ؛ فالمصحف لا يغادر يدي .
ورببت لنفسي جدولاً أقرأ كل يوم ما تيسر لي ، ولا شك أن
من النعم العظيمة أن ترى من حولك يتسابقون إلى الصلاة وإلى
قراءة القرآن فيبعث ذلك فيك روحاً من النشاط والهمة .
كبيرات السن اتخذن من الكراسي مكاناً لجلوسهن ،
فالعالم منهن لا تستطيع الوقوف أو لا يتيسر لها السجود .

فترى في كل صف ثلاثة أو أربعة كراسي، وترى حول من جلست على الكرسي فتيات صغيرات كالفراشات حول الأم أو الجدة يسرعن لخدمتها قبل أن تطلب، ويتسابقن لرفع مصحفها أو إصلاح عباءتها أو تقريب كأس من ماء زمزم إليها..

تعرفت على من حولي؛ هذه فلانة بنت فلان، والأخرى من العائلة الفلانية وهكذا.

إحداهن من علية القوم وكبرائهم وحولها خدم وحشم، وكنت أسعد برؤيتها لحسن خلقها وطيب معشرها.

تسلم على الجميع وتتفقد الأحوال..

وكثيراً ما تسألني وكأنها تبحث عن خدمتي.. هل

الكرسي مريح أم يتعبك؟

هل تريدن يا أمي شيئاً؟ تزين السؤال بابتسامة عذبة..

وتختتم بقبلة على الراس.

أشكرها وأدعوا لها وأشير إلى ابنتي بأنها كفتني كل شيء

وسهلت كل شيء.

وفي كل مساء تسأل عن أمر آخر..

وظننت أن الأمر يخصني وحدي وأن الاهتمام موجه إليّ؛ فإذا بها تسأل عن الجميع وتتابع الجميع. وتتفقد حاجة المصلي، وتوزع على الحاضرات المساويك.

ويوماً سألتها على طريقة كبيرات السن سؤالاً بدعاء وقلت: أسأل الله أن يرزقك الزوج الحنون والذرية الصالحة. لم أسمع صوتها لكنها ابتعدت حياءً واختفت وسط الجموع..

ويوماً بعد صلاة التراويح... والكثيرات ينتظر صلاة القيام أتت بطعام مغلف بورق ليبقى نظيفاً.. ووزعته على الحاضرات بيدها.

وجدتها فرصة مناسبة قلت لها: أسميتك يا بُنتي بأمر الخير. ولو أعلم اسماً أوفى وأجمل لأسميتك به. احمر وجهها وقالت بلطف: جزاك الله عني خيراً.

* ويوماً حدث أمر لم يكن في الحسبان.. فقد كثر الزحام في ليالي الوتر من العشر، وضاق المكان، ولم أعد أر أم الخير إلا من بعيد وهي واقفة تُصلي.

ما حدث تلك الليلة ونحن نصلي صلاة القيام كان مقياساً لنجدة الضعفاء وميزاناً لأهل الاحتساب وطلب الأجر والثواب.

تفريج الكرب

امرأة عجوز بلغت من العمر عتياً، ضعيفة البنية محدودة الظهر، لم يبق منها إلا آثار عظامها من شدة الكبر.

لم تتمالك نفسها وهي على كرسيها وجرى منها الماء وبعض الروائح؛ فابتعد عنها الجميع حتى أصبح حولها دائرة فارغة ليس بها أحد، والمرأة ليس معها مرافقة في تلك الساعة، لعل خادمة أو قريبة أتت بها ثم ذهبت..

لم تر أحداً حولها فسكنت وغطت وجهها؛ وساد الصمت وسكت الجميع، والبعض ممن هن قريبات حولها وضعن على أنوفهم ما يخفف الرائحة والعيون تنظر إلى بعض.

لحظات ساكنة ودقائق قاتلة حتى هبت أم الخير بنفسها ولم تأمر من معها من الخدم والحشم.

سارعت وحملت المرأة العجوز بين ذراعيها وسط دھول الجميع وخرجت بها خارج المصلى..

نصف ساعة فإذا بها تعود بالمرأة وقد نظفتها وأتت بكرسي آخر لها. وعمدت إلى خادمتها لتنظيف المكان ورش المعطر عليه.

دمعت عيني وأنا أرى أم الخير تفعل ذلك كله!
ورفعت يدي إلى السماء ولا أعلم ماذا دعوت لها لكن

أحسست بحرارة الدعاء تنزل على كبدي ..
 كيف نهضت من بين الجميع ولم تأمر من معها ..
 كيف قامت بهذا الأمر بنفسها ولم تأمر من حولها ..
 بل ما هو شعور المرأة المسكينة وقد غلبها الحياء ونظرات
 النساء!

سبحان من فرج على يدي عباده كرباتهم ونفس عنهم!
 وتأملت في نفسي كيف هي دعوات هذه المرأة التي تخلى
 عنها من حولها وقامت بها أم الخير خير قيام!
 عليك سلام الله يا أم الخير!
 سلامٌ عليك .

وقفه:

قال ابن القيم - رحمه الله - : «من رفق بعباد الله رفق
 الله به، ومن رحّمهم رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن
 إليه، ومن جاد عليهم جاد عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن
 سترهم ستره، ومن منعهم خيره، منعه خيره، ومن عامل
 خلقه بصفة، عامله الله - تعالى - بتلك الصفة بعينها في
 الدنيا والآخرة، فالله - تعالى - لعبده حسب ما يكون العبد
 لخلقه» .

شفاعة الشيخ

العلماء ورثة الأنبياء . . حملوا الكتاب والسنة . لهم في الخير مواطن . . ومواطنهم في الخير معروفة معلومة ، يفرح لهم الناس ، ويسرون برؤيتهم ، ويسعون لسؤالهم . هم من يعرف أجر الشفاعة وعظم أجر تفريج الكرب ونفع المسلمين ، ولذا فهم لا يتوانون عن ذلك . . سواء قبلت الشفاعة أم ردت .

فقد ردت جارية شفاعة النبي ﷺ ، وقالت له ﷺ : أشافع أم أمر؟ قال : «بل شافع» قالت ذلك لأنها تعلم وجوب طاعة الرسول ﷺ وامثال أمره إذا أمر .

فلما قال ﷺ بل شافع ، ردت شفاعته ولم تعد إلى زوجها .

والقصة ذكرها الإمام البخاري عن ابن عباس قال : «أن زوج بريرة كان عبداً يقال له مغيث ، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ، ودموعه تسيل على لحيته ، فقال النبي ﷺ لعباس : «يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ، ومن بغض

بريرة مغيثاً» فقال النبي ﷺ: «لوراجعته» قالت يا رسول الله تأمرني، قال: «إنما أنا شافع» قالت: لا حاجة لي فيه. هذا حال نبي الرحمة وكيف هو مع أصحابه ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

أما في زماننا فالشيخ عبد الرحمن الدوسري - رحمه الله - جرى لسانه وكلمه لنفع الدعوة ورفع راية الدين؛ لكن له مع جاره قصة.. يرويها ذلك الجار بنفسه.

قال: كنت موظفاً وأردت أن انتقل من إدارة إلى إدارة، فقد حصل لي ضيق وشدة في هذه الإدارة وحاولت بقدر المستطاع الانتقال ولم يتيسر ذلك، فأخذت إجازة من العمل.

ويوماً فكرت في أن أحدث الشيخ في ذلك، ولكنني ترددت كثيراً هيبه من الشيخ، ورغبة مني في عدم إشغاله وإحراجه.

لكن لما اشتد الأمر وضاق الصدر ذهبت إليه ضحى ذلك اليوم وطرقت الباب، وسلمت عليه، وادخلني في مجلسه، ثم حدثته بما أريد.

فقال: أبشر إن شاء الله. وأكرمني ولاطفني بحديث جميل.

ثم دلف إلى داخل بيته فترة يسيرة وأتى، وإذا بأثر الوضوء على وجهه ولحيته وقد وضع مشلحه على يده، وقال وهو يشير بيده: هيا.

قلت يا شيخ لا أريدك أن تذهب، اكتب لي شفاعة..
ورقة إلى فلان لعله يقبلها.

قال الشيخ - رحمه الله -: قم؛ هؤلاء لا بد أن أذهب لهم وأحقق لك بإذن الله ما تريد.

قال: فذهبت مع الشيخ وأنا في حرج شديد، خاصة أنه سوف يقابل الرئيس الأعلى وكأنها شكوى لمديري المباشر. وعندما دخل الشيخ على المسئول طلب منه نقلي، وقال: لا بد من تحقيق رغبته وهي أمر بسيط.

فقال المسئول: أبشر يا شيخ ننقله الآن.

فتم نقلي ولله الحمد، ولازلت أذكرها للشيخ إلى اليوم، وأدعوا له بالمغفرة والرحمة أن فرج همي.

وقفة:

* عن أبي موسى - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ كان إذا أتاه سائل أو طالب حاجة، قال: «اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء» [متفق عليه].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي - رحمه الله - : « وهذا الحديث متضمن لأصل كبير، وفائدة عظيمة، وهو أنه ينبغي للعبد أن يسعى في أمور الخير سواء أثمرت مقاصدها ونتائجها أو حصل بعضها، أو لم يتم منها شيء، وذلك كالشفاعة لأصحاب الحاجات عند الملوك والكبراء، ومن تعلقت حاجاتهم بهم؛ فإن كثيراً من الناس يمتنع من السعي فيها إذا لم يعلم قبول شفاعته، فيفوت على نفسه خيراً كثيراً من الله، ومعروفاً عند أخيه المسلم، فلهذا أمر النبي ﷺ أصحابه أن يساعدوا أصحاب الحاجة بالشفاعة لهم عنده؛ ليتعجلوا الأجر عند الله، لقوله: «اشفعوا تؤجروا» فإن الشفاعة الحسنة محببة لله، ومرضية له. قال تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

ومع تعجله للأجر الحاضر فإنه أيضاً يتعجل الإحسان وفعل المعروف مع أخيه، ويكون له بذلك عنده يد.

مِنْ أَجْوَدِ النَّاسِ

لا يزال الخير في أمة محمد ﷺ سائراً في نفوس الأخيار منهم سريان الليل والنهار . . ماء عذب يسقي واحات من الجذب والقحط . . .

ومن أعظم أنواع البر والخير ما يبلغ لدى الأبناء البرة بآبائهم وأمهاتهم وينزع بهم إلى أعمال خفية لا يعلم عنها الوالدان .

ذكر أحد كبار السن قصة مؤثرة أسهب فيها وهو يذكر تلك المرأة المحسنة في بلدتهم، وكيف كانت في بيت غنى وجاه ولها نفقة ثابتة. لا ترد سائلاً ولا تغفل عن محتاج. بل تسارع إلى نجدة الملهوف ومواساة ذوي الحاجات.

ومع ما وهبها الله من سعة المال ووفرته إلا أن نفقتها وإحسانها أكبر مما يرد إليها خاصة في بعض السنين. فكانت تستدين مبالغ من التجار وتدفعها للفقراء والمحتاجين. وفي سنة حاجة ومجاعة. أنفقت نفقة عظيمة واستدانت من كبار التجار في بلدتها، كان عليها في تلك السنة ثمانون ألف

ريال ديناً لرأس من رؤوس التجار في بلدها وكان المبلغ كبير جداً في ذلك الزمن وقد تأخرت عن السداد . فما كان من هذا التاجر إلا أن طلب ابنها الأكبر وأخبره بالأمر وأن والدته تأخرت في السداد هذا العام واعتذرت بقله ما يرد إليها .
أهم الأمر الابن وتقلب على فراشه . ماذا يصنع ؛ ومن يقصد لسداد دين والدته .

كان الرجل يقيم مع والدته في بلدة من بلدان نجد وله أملاك في الطائف . . مزرعة صغيرة وبها منزل . فقرر الذهاب لبيعها وسداد دين والدته .

ودع والدته وهي لا تعلم سبب سفره ، وغادر إلى الطائف وهو يقلب كفاً بكف ويدعوا الله - عز وجل - أن ييسر أمره ويسدد دين والدته . فلما وصل إلى الطائف بحث عن مشتر لمزرعته ولكنه لم يجد إلا عرضاً لا يسدد ما على والدته .
يقول كان العرض : عشرون ألف ريال فقط .

فأصابني هم وغم ماذا أصنع وماذا أفعل ولمن أذهب ، وهل أعود أدراجي خالي الوفاض . . واحترت في أمري وقلبت الطرف يمنة ويسرة . وكان الهدف الأول من رحلتي هذه كيف أقضي دين والدتي . . أستعجل الأيام لا أريد أن

تفريج الكرب

يخبرها التاجر بما يحزنها أو أن يُكثر عليها بطلب السداد.
خطر في بالي ما خفف همي. لدي معرفة طيبة بمحسن
من أهل مكة. والأمر يخص والدتي فلا حرج من مفاتحته
والاستدانة منه حتى ييسر الله الأمور.

يمت نحو مكة بلد الله الحرام، وقصدت المسجد الحرام.
وظفت بكعبته المشرفة وسعيت بين الصفا والمروة وأتممت
عمرتي ودعاءً بتيسير الأمور لا يفارق لساني.

وفي مساء الغد اتجهت إلى محسن كريم من أهل الحجاز
اسمه (محمد سرور الصبان) وقد كان وزيراً للمالية فيما
سبق. ووجدته في بستان له بأسفل مكة، وقد كان في ذلك
المساء منشرح الصدر مسرور الخاطر، فسلمت عليه وأنس
بحضوري، وبعد إظهار لطفه وطيب معشره ذكرت له ما
جرى لي، وقلت له: أريد أن تقرضني لأسدد عن والدتي
ما عليها.

فقال: متى تعيد المبلغ.

قلت له: بيني وبينك نهاية هذا العام، وأرهن مزرعتي
بالطائف.

قال: لا ترهن شيئاً وليس لي حاجة إلى ذلك، لكن أكتب لي ورقة باستلام المبلغ.
فكتبت ورقة بثمانين ألف ريال دين عليّ أسدده بعد عام.

فأمر كاتباً عنده وأتى بكيس مملوء بالريالات. . فأخذتها حامداً ربي على التيسير وتفريج كربتي شاكراً له، داعياً لحسن خلقه وسخائه وكرمه.

سرت متجهاً لنجد؛ استحث الخطى وبجوارى الريالات انظر إليها واتحسسها كل حين. ولم أقف في سيري ليلاً أو نهاراً استحث الخطا حتى أقبلت على بلدتي وقصدت نحو التاجر وسلمته المبلغ وكتب لي ورقة بذلك.

انزاحت جبال من الهم والغم كانت جاثمة فوق صدري، واتجهت لوالدتي وقبلت رأسها، واعلمتها أن الله رزقني مبلغاً، وسددت للتاجر ما عليك من دين.

فسرت وفرحت بذلك ودعت لي، ولعلها كانت مهمومة بالأمر لكنها لم تظهره.

وبعد حين طرق مزرعتي بالطائف طريق عام وتم شرائها من قبل الدولة لصالح الطريق، وقدر الله أن يكون المبلغ

تفريج الكرب

ثمانون ألف ريال بالتمام والكمال . فقصدت بالمبلغ مكة واتجهت لقصر أتيته من قبل ستة أشهر فقط .

سلمت على الشيخ وسر برؤيتي وسأل عن أحوالي فأخبرته الخبر . . وأن الله يسر المبلغ مبكراً وهاهو معي ووضعت يدي عليه .

فتبسم ونادى الكاتب وقال له : ائت بأوراق القرض التي كتبتها . فأسرع وأتى بها وجعلها بين يديه .

نظر فيها وقال : لن تكون والدتك أكرم منا لا نريد المبلغ ، ومزق الورقة وأنا أنظر .

وقال : بارك الله لك في مالك وجزاك الله خيراً على برك بوالدتك .

خرجت حامد ربي شاكراً ما أنعم ، داعياً للرجل حسن صنيعه وكرمه .

فرج كربتي وأعانني على بر والدتي ثم هو تصدق بالمبلغ للمتحاجين ، فسبحان من سخر من عباده من يعين عباده ويفرج كربهم .

* قال حاتم الأصم - رحمه الله - لأولاده : إنني أريد الحج ، فبكوا؛ وقالوا: إلى من تكلنا؟ فقالت إحدى بناته:

اسكتوا! دعوه؛ فليس هو برزاق، الله هو الرزاق!
 فباتوا جياعاً، وجعلوا يوبخون البنت، فقالت: اللهم لا
 تخجلني بينهم! فمر أمير البلد، وطلب ماء؛ فناوله أهل
 حاتم كوزاً جديداً فيه ماء بارد فشرب، وقال: دار من هذه؟
 فقالوا: دار حاتم الأصم، فرمى فيها [صرة] من ذهب،
 وقال لأصحابه: من أحبني فعل مثلي، فرمى من حوله
 كلهم مثله.

فجعلت ابنة حاتم تبكي، فقالت لها أمها: ما يبكيك وقد
 وسع الله علينا؟! فقالت: مخلوق نظر إلينا فاستغنينا!
 أي: فما ظنك يا أماه برحمة الخالق - جل وعلا - الذي
 سخر لنا هذا المخلوق؛ فعطفه علينا؟

لا أعظم من التوحيد

أتى أحمد يطوي الليل ويسابق النهار . ترك بلدته ودياره في وسط جبال مرتفعة ، ويم نحو بلاد مجاورة وكان مقصده العلماء والدعاة ؛ وأخذ يصيح بصوت مرتفع في كل مجلس : قومي يشركون بالله ويعبدون الأوثان ويطوفون على القبور .

أمسك بيده الناصح وقال : حدثني ما بك وما الذي أهمك؟ قال : نحن نسكن مناطق جبلية ، في بلدة نائية عن المدن ويوجد ضريح يأمه الناس من كل مكان . . هناك قبر يعجب بالقاصدين لا ينقطع عنه الناس طوال العام . بني منذ مئات السنين ، وخشب السقف للضريح أتى به من الهند منذ أكثر من ثلاثمائة سنة وهو من النوع الفاخر الذي لا تأكله الأرضة .

يقع القبر في ناحية المسجد وله سادن وحراس . وهذه صورة له . . ترى عليها أثر الدم من كثرة ما يذبح له ويتقرب إليه .

وبحاذاة الجبل المطل على الضريح غرف صغيرة متراسة
 بنيت للزوار، وكل من أتى ولديه وفر مال بني غرفة أو
 أكثر. وغالب من يأتي بقصد الشفاء، ورفع ما نزل به.
 ويقيم البعض منهم شهوراً والبعض أياماً. ومنهم من يأت
 ليقدم قربانه ويذبح ذبيحته تقرباً إلى الولي ثم يرحل.
 هذه صورة ماثلة للشرك في هذا الزمن. وبني قومي في
 غيهم ساهون.

حدثتهم بأن هذا هو الشرك الأكبر المخرج من الملة وأن
 عليهم عبادة الله وحده لا شريك له دعاءً ونذراً وذبحاً.
 لكنهم في واد آخر تنتشر بينهم قصص واهية ويتناقلون
 أحاديثاً؛ هذا فلان شفي من مرضه لما أتى للولي، وهذه
 المرأة بعد عشرين عاماً حملت وأنجبت بعد أن نذرت للولي
 وذبحت له، وهكذا يسري حديث الناس ليلاً بأمثال تلك
 الحكايات وكل يمني نفسه بنوال مطلوبه.

سامرتهم طويلاً وجلست معهم كثيراً. . . سردت لهم
 الآيات والأحاديث التي تدل على وجوب أفراد العبادة لله -
 عز وجل - وأن ما يقومون به لا يجوز. . . وأنه فعل محرم
 لكن لم أجد إلا الصدود والإعراض. . . بعضهم يهز رأسه

وآخرون يسألون بتعجب: من أين أتيت بهذا الدين الجديد نحن نتوسل به إلى الله؛ فصاحب القبر ولي مستجاب الدعاء!

عندما نفذ صبري وحيلتي . . أتيت إليكم والسؤال: كيف نهدي هؤلاء إلى الصراط المستقيم وترك القبور والأضرحة والعكوف عليها؟!

قال الناصح: اعزم وتوكل على الله وعليك بنهج الرسول ﷺ في الدعوة إلى الله وسأبدأ معك خطوة بخطوة وسترى ما يسرك .

يا أحمد: سنبدأ بإرسال دعاة للمنطقة وسنبداً بثلاثة دعاة من حملة الشريعة يقيمون هناك سنة كاملة . يعلمون الناس الدين وينشرون التوحيد . وسنجعل معهم الكتب وبعض المواد الغذائية لتساعدهم في أمر الدعوة وقبول الحق . وهكذا رتبت الأمور على أحسن حال .

غادر الرجل ورحل إلى دياره ومكث سنة كاملة ومعه طلبة العلم يغشون مجالس القوم ويصلون بهم في المساجد ويذكرونهم بحق الله - عز وجل - .

مضت سنة كاملة نشر خلالها التوحيد في تلك الأصقاع والبقاع حتى قبله أهل البلاد واطمأنت قلوبهم به وله، وعزفوا عن القبر والطواف حوله والذبح له. وتحولت مهمة الدعاة نحو من ينفذ إلى القبر من مناطق أخرى يحدثونهم ويسامرونهم ويعلمونهم التوحيد، فمنهم من أقبل ومنهم من نكص على عقبيه.

فرح أهل القرية بنور التوحيد؛ وكان مطلبهم واحد: وهو هدم الضريح حتى لا يُعبد من دون الله.

قال لهم الدعاة: نثريث وننظر في الأمر بحكمة وروية. وبعد سنة كاملة عاد أحمد إلى صاحبه وبشره بما تم من خير وتفريج كرب أولئك القوم؛ ولا أعظم من تفريج كربهم وأخراجهم من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد.

قال الناصح بعد أن سمع أن القوم لديهم العزيمة على هدم الضريح: عد إلى قومك واكتب ورقة يوقع عليها الصغير والكبير فيها موافقة صريحة وواضحة على هدم الضريح، فإن تم لك هذا فلا تأت بأحد من خارج هؤلاء، دعهم بأيديهم يهدمون الضريح ويخرجون رفات الميت ويدفنونها في مقابر المسلمين، أزيلوا كل معلم وأثر، وإذا تم كل

تفريج الكرب

شيء لكم مني أن بني لكم مسجداً ومدرسة لتحفيظ القرآن
ومغسلة أموات .

أشرق يوم جميل في القرية وارتفعت الفؤوس والمعاول
وصعد الشباب والشيب الضريح وهللوا وكبروا وقالوا:
اقتداء بسنة النبي ﷺ نهدم الضريح فقد أوصى ﷺ جابر
بن عبد الله بقوله: « لا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته ولا تمثالاً إلا
طمسته » .

ثار الغبار وسقط السقف ونبش القبر ووري مقابر
المسلمين . وانتهت صفحة مظلمة في القرية ، كانت تُقصد
فيما سبق للولي والضريح ، واليوم يأمر الجميع لتلقي العلم
والحديث . .

فرجت كربة؛ بل كرب عن أهلنا هناك . .
كانت هذه آخر كلمات أحمد وهو يودع ويدعوا من
سأهم وشارك في الخير!

استمع

بعض هموم الناس وغمومهم من فقدان الصاحب والقريب الذي يستمع إلى مشاكلهم وينظر ويوجه إلى أفضل الطرق والوسائل في حلها وإزالتها.

هذا رجل أهمه أمر ابنه وعدم انتظامه في الدراسة، فاقترح عليه المستشار الناصح ما يناسب الحال ويصلح المآل. والآخر أهمه زواج ابنته ويريد أن يستشير ويسأل في هذا الأمر فأعانه وأرشده.

والثالثة؛ لها أيام ما رأت للنوم قراراً بسبب مشكلة وقعت بينها وبين زوجها ولم تجد من تبث لها الهموم! فأنصتت الناصحة المشفقة لها وسمعت أنينها حتى هدأت ونفست كربها.

والملاحظ أن غالب الناس يحتاجون إلى من ينصت لهم؛ فالجزء الأهم في حل المشاكل هو وجود من يستمع لهم، وهذا قليل ونادر.

تفريج الكرب

ذكر عن امرأة عاقلة رزينة، فرغت نفسها للاستشارات والسماع من أخواتها ومن يعرفها. . تدع صاحبة المشكلة تتحدث وتبث المعاناة. . لا تقاطعها ولا تلومها. . بل تستمع لها. . سرها قوي فلا تبوح لأحد بما سمعت من الغير، ثم هي في النهاية تحث على الصبر، وتذكر أجر الصبر، وثوابه ورفعة درجته، وتكثر من الدعاء أن ييسر الله الأمر ويزيل الغمة، ويبدل الكدر صفاء، والحزن فرحاً!

فرجت كرب كثيرات وهي في بيتها، وأزالت الهموم عن كثيرات. ولم تكتف بذلك بل اتخذت من ذلك أسلوب دعوة. . يا بنتي حافظي على الصلاة، يا أختي أكثري من الاستغفار، يا أختي لا تنسي الدعاء. .
يا أمي هذه حال الدنيا.

وهكذا هي عذبة اللسان حلوة الكلام.

وقفة؛

قال مالك بن دينار - رحمه الله - : خرجتُ إلى الحج، وفيما أنا سائر في البادية، إذ رأيت غراباً في فمه رغيف! فقلت: هذا غراب يطير وفي فمه رغيف، إن له لشأناً! فتبعته، حتى نزل عند غار، فذهبت إليه، فإذا بي أرى رجلاً

مشدوداً لا يستطيع فكاكاً، والرغيف بين يديه!

فقلت للرجل: من تكون؟ ومن أي البلاد أنت؟

فقال: أنا من الحجاج، أخذ اللصوص مالي ومتاعي،

وشدونني وألقوني في هذا الموضع كما ترى، فصبرت على

الجوع أياماً، ثم توجهت إلى ربي بقلبي وقلت: يا من قال

في كتابه العزيز: ﴿أَمِّنْ تُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾

[النمل: ٦٢] فأنا مضطر فارحمني... فأرسل الله هذا الغراب

بطعامي.

قال مالك: فحللته من الوثاق ثم مضينا.

الهم الكبير

يأتي مهرولاً إلى بيته لا يلوي على أحد، يسير على عجل
 في أرض لا أنيس بها ولا جليس . . قد أصابه هم وغم،
 ونزل به أمر عظيم أرهبه وأزعجه .
 لا ملجأ له بعد الله - عز وجل - إلا الزوجة الحنون؛
 شريكة العمر، ورفيقة الطريق . .
 ترك الأقارب والأعمام والأصدقاء والمعارف؛ وتوجه إلى
 داره يحمل همّاً عظيماً وكرباً شديداً . .
 فقد نزل به أمر وهو في مكان بعيد . . وحيداً فريداً . .
 رأى هيئة مختلفة، وسمع دعوة جديدة؛ فهرب إلى الزوجة
 التي ضمها وإياه منزل صغير وجدران أربع . . لكنها صاحبة
 قلب كبير وعقل رزين، وحنان متدقق . .
 قص عليها الأمر وهو في شد الفزع . . فما كان منها إلا
 أن طمأنته وواسته بل وأفرحته! وذلك هو تفريج الكرب
 وأعظم .

قالت وهي تعلم مكان الخير في عقله وقلبه: لا يخزيك الله أبداً.

تروي أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ذلك الحدث العظيم بقولها: أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

ثم حُبِّبَ إليه الخلاء، وكان رسول الله ﷺ يحب الخلاء والانفراد عن قومه؛ لما يراهم عليه من الضلال المبين من عبادة الأوثان والسجود للأصنام.

وقويت محبته للخلو عند مقاربة إحياء الله إليه، - صلوات الله وسلامه عليه -، لما في الخلو من صفاء النفس، وهدوء البال، والتفكير في ملكوت الله وعظيم خلقه، وجليل قدرته.

فكان يخلو بغار (حراء)، على بعد أميال من مكة، فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء.

فجاءه الملك فقال: «اقرأ. قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١-٥].

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: «زملوني زملوني». فزملوه حتى ذهب عنه الروع.

فقال لخديجة - وأخبرها الخبر-: «لقد خشيت على نفسي». فطمأنته وأكدت له على أنه ما كان الله ليخزيه أبداً. ثم ذكرت له من صفاته الجليلة وما كان من سجاياه الحسنة، وهي من أجمع الصفات وأنبلها، وأعظمها وأكملها قالت له في تल्प وتحنان: كلا؟ أبشر؛ فوالله لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتقري الضيف، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق.

ولم تقف به خديجة عند هذا الحد من المواسة بل انطلقت به - رضي الله عنها - حتى أتت على ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان امرأاً قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب كتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي.

فقال له خديجة: يا ابن عم! اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي! ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى.

فقال له ورقة: هذا الناموس الذي كان ينزل على موسى، ياليتني فيها جَدَعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: «أَوْ مُخْرَجِي هُمْ؟!». .

فقال: نعم؛ لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً.

ثم لم يلبث ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة؛ حتى حزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً.

أي امرأة تلك - رضي الله عنها - التي تقبلت الأمر وهونته، واعتمدت على حسن ظنها بربها وأنه لا يجزي جميل الفعال ﷺ إلا بالخير والرشاد وذلك جزاء المحسنين.

تفريج الكرب

ثم هي تذهب به حتى يطمئن وتقر عينه . . تأت به إلى ابن عمها ليرى ماذا جرى لزوجها ويسمع منه - رضي الله عنها وأرضاها - .

امرأة عاقلة، راشدة، صبورة. ولهذا كانت نعم المعين للنبي ﷺ في بداية رسالته، وماتت - رضي الله عنها - ولم تشهد بلوغ الرسالة أطراف الجزيرة.

البعيد القريب

استرَجَعَ أيام الماضي وهو يتحدث عن قدومه من بلدته الصغيرة إلى مدينة الرياض بعد وفاة والده .

هاهو يحمل على كاهله أعباء الحياة ومصاريها مع والدته وإخوته الأيتام الذين توفي والدهم مبكراً ولم يترك لهم شيئاً يذكر .

أول خطوة بدأها أن استأجر منزلاً ورتب ما استطاع إليه سبيلاً .

وبدأ له من أول يوم سؤال طويل . . وهم لا ينقطع ؛ كيف أسدد الإيجار؟ وكيف انفق على والدتي وإخوتي الصغار؟ قال : لم تكن الدراسة الجامعية التي بدأتها هي كل همي . . بل تحملت هموم أسرة كاملة وأنا لا أزال على أول درجات الدراسة الجامعية .

وجدت عملاً مسائياً ، فكنت آتي إلى المنزل بعد انتهاء الدراسة الصباحية ، وأتناول غذائي على عجل لمدة دقائق حتى أنني من ضيق الوقت لا أنزع ثيابي . .

تفريج الكرب

ثم أخرج وأنا أسمع صوت والدتي تنادي بصوت فيه
رحمة وشفقة... تقول:

يا بني.. يكفي ما لدينا.. يا بني لا تتعب نفسك يكفي
ما لدينا... يا بني لا ترهق نفسك..

أسمع الصوت وأنا في طريقي سائر.. أودعهم حتى
يخفي صوتها.

سارت الأمور سيراً طيباً.. ولا زلت أفكر قبل النوم وبعد
النوم في جمع ما لدي من دخل لسداد الإيجار وترتيب حياة
صعبة في مدينة جديدة عليّ.

مضت السنة الأولى والثانية وتوالت الأيام، فإذا بي في
مساء يوم جميل ومهم في حياتي أفاجأ برجل من أسرتنا
يكبرني سناً وأحواله المادية ميسورة.. أراه أحياناً في مناسبات
متباعدة.

إذا به يقول: أين سكتكم؟

سؤال حيرني.. ظننته سيزورنا.. أو أنه سؤال من باب
الفضول مثلما يفعل كثير من الناس.

ولما علم أننا نسكن بيتاً بالأجرة، قال لي بحنو وعاطفة
جياشة: لدي أرض في الحي الفلاني، خذها وأبدأ بعمارتها

ومتى ماتيسرت أمورك فالسداد أمره سهل .

أرفع يدي بالدعاء، أم أقبل رأسه، أم أسجد لله شكراً؟
تعلمت في الكلام، وضاعت الحروف، لكن تعابير
وجهي كانت لوحه زاهية .

خبرٌ نزل عليّ من رجل ليس بالقرب قريباً يجعلني أتوقع
منه ذلك؟ وليس لي به صلة قوية، وتعجبت كيف تحسس
أمري؟ وسألني في وقت كان هناك من هو أقرب منه وأكثر
مالاً وأعلم بأحوالنا . . . لكنها منحة من الله له، وعطية من
الله لي .

مرت الأيام وأخذت صك الأرض بيدي والدنيا لا
تسعني .

وكلما تذكرت الأمر لم أنس سنا معروفه وجميل
عطيته .

دعوت له دعاءً حاراً في ظهر الغيب . كيف فرج كربتي
ونفس همي وأزال غمي .

بدأت بالبناء على مراحل، كلما تحصلت على مبلغ جعلته
في هذا البيت . . حتى تم الأمر وانتقلت إليه، ولم يكف أن
أدعوا له بل لما رزقت بمولود اسميته باسمه .

تأثر وهو يحدثني عن حاله ومآله . . وكيف أن الله يسخر من عباده لتفريج كرب غيرهم ، دعوت لقريبه وأنا لا أعرفه ، وكلما تذكرت قصته ورأيت ذلك الابن المسمى باسمه دعوت له .
وبعد تفريج كربة محدثي توفي الشاب الذي أعانه وساعده . . فسألت الله أن يفرج كربته في القبر ويوم الحشر مثلما فرج كربة صاحبنا ، ولازلت أردد سبحان من سخر من عباده من يفرج كربهم ويعينهم . .

هنيئاً له الخير والأجر والثوبة ، والدعاء والذكر الحسن .
وتذكرت رجلاً غنياً فاضت لديه الأموال وكثرت ؛ وقد أتاه قريب له خالي اليدين هو أقرب للبوؤس من غيره . .
وطلب منه قرضاً بمبلغ يسير ليعمل به ، ويدر عليه دخلاً بسيطاً ؛ فرده رداً لا يليق بذوي الرحم ، وأعاده كسير النفس يقلب الطرف حائراً . . .

وسؤال أمامه : لمن يذهب ؟!

وقفه :

* يُرَوَى أن أبا بكر - رضي الله عنه - عندما تولى خلافة المسلمين بعد رسول الله ﷺ كان يصلي بالناس صلاة الفجر ، ثم ينسل من بين الصف ويخرج ، لا يُدرى أين يذهب .

فقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : «والله! إن لأبي بكر خبيثاً من عمل صالح» - أي أنه يعمل عملاً صالحاً لا يريدنا أن نراه فيه أو نطلع عليه - وذات يوم صلى أبو بكر بالناس صلاة الفجر ثم خرج؛ فتبعه عمر وقال: «والله، لأرْمُقَنَّه فَلأرَيْنَ ماذا يصنع!».

فخرج أبو بكر من أطراف المدينة، وتبعه عمر، فإذا بأبي بكر يدخل بيت شعر قديم، يكاد أن يسقط من البلى على رؤوس أصحابه.

أدَّرع عمر خلف صخرة ساعة من نهار، فإذا بأبي بكر يخرج من البيت ليتبعه عمر فيدخل فيه، فإذا به يجد امرأة عجوزاً هرمة مقعدة عمياء، فقال لها: من أنت؟ ومن هذا الرجل الذي يأتيك؟

قالت: أنا أمة من إماء الله، وهذا رجل من المسلمين يأتيني كل صباح، يقيمُ بيّتي، ويعجن عجيني، ويحلب شاتي، ويقوم على مصلحتي، ويدفع عني الأذى، ويذهب والله لا أعرفه، والله.. إنه لخير من أبي بكر خليفة رسول الله!

عند ذلك ضرب عمر كفاً بكف، وقال: أتعبت الخلفاء بعدك يا أبا بكر! من يطيق ما تطيق؟ من يستطيع أن

تفريج الكرب

ينافسك في خير؟ أو يسابقك إلى قربى؟ أو يمشي أمامك إلى طاعة؟

فتبارك من أعطاك هذه المهمة! وأوصلك هذه القمة! وعلى الطريق سار عمر، وهل يضل من قائد الشمس ورائده القمر؟! فاقراً - رعاك مولاك - هذا الخبر:

كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يتعاهد الأرامل يستقي لهن الماء بالليل، ورآه طلحة - رضي الله عنه - بالليل يدخل بيت امرأة، فدخل إليه طلحة - رضي الله عنه - نهاراً، فإذا هي عجوز عمياء مقعدة، فسألها ما يصنع هذا الرجل عندك؟ قالت: هذا منذ كذا وكذا يتعاهدني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى. فقال طلحة لنفسه: ثكلتك

أمك يا طلحة، أعورات عمر تتبع^(١)؟!
 وَأَفْضَلُ النَّاسِ مِنْ بَيْنِ الْوَرِيِّ رَجُلٌ
 تَقْضَى عَلَيْهِ لِلنَّاسِ حَاجَاتُ
 لَا تَمْنَعَنَّ يَدَ الْمَعْرُوفِ عَنْ أَحَدٍ
 مَا دُمْتَ مُقْتَدِرًا فَالْسَّعْدُ تَارَاتُ
 وَاشْكُرْ فَضَائِلَ صُنْعِ اللَّهِ إِذْ جَعَلَتْ
 إِلَيْكَ لَكَ عِنْدَ النَّاسِ حَاجَاتُ

(١) انظر جامع العلوم والحكم.

فقير يتصدق على فقير

من عجائب الصدقة التي يراها كثير من الناس سرعة العوض والمكافأة من الله - عز وجل - سواء بمضاعفتها أو البركة فيما بقي .

ذكر لي رجل متوسط الحال ميسور المال، قال: كان لدي غسل وزيت في بيتي وأرسلت بهما إلى فقير أعرفه، فأخذها سائقي ولما خرج بها من المنزل فإذا بالهاتف ينادى . فأجبت فإذا به قريب يسلم ويسأل ثم قال: أرسلت لك سائقي معه هدية: زيت أتاني من الشام من أجود الأنواع، وغسل مصفى من اليمن . شكرت له وانتظرت فإذا بالزيت والغسل الذي أهدى إلي ثلاثة أضعاف ما تصدقت به أو يزيد .

قلت في نفسي: هذا في الدنيا وما عند الله خير وأبقى .
* وذكر لي أحد الفضلاء ممن سخره الله للقيام على الإرامل والإيتام والفقراء والمحتاجين أنه ذهب مع صديق له إلى بيت أحد الفقراء ممن لديه أسرة تزيد عن خمس عشر فرداً معظمهم بنات وفيهم ابنة صغيرة مريضة بالقلب وأخرى

تعاني من الصرع، ولما رأى صديقي حالهم وشدة فقرهم ذكر ذلك لأحد المتبرعين فاتصل علي وبشرني أنه وجد متبرعاً تكفل ببناء غرفتين ومطبخ صغير لهم في أطراف القرية.

يقول: فرحت بهذا الخير وقصدت صاحبنا الفقير لأبشره بالأمر وأن الله يسر أمره، وقصدت منزله ورفعت صوتي وناديته فأتى مسرعاً، قرب لي قطعة قماش عليها آثار الزمن وكثرة الاستعمال فجلست، وأخبرته بالأمر ففرح كثيراً ودعا لي وللمحسن الكريم.

وقلت له متسائلاً ومؤانساً: هناك خيراً صنعته قاد لك هذا الرجل ليرى حالك ويتولى بناء منزل لك لأن بناء المنازل نادر خاصة أنه يقارب الستين ألف ريال، وغالب المحسنين لديهم صدقات مالية محدودة.

تنهد وأخذ حصى من الأرض وبدأ ينظر بعيداً، وقال: أعاني كثيراً من السفر إلى الرياض لعلاج ابنتي المريضة بالقلب وغالباً استدين مبلغ للسفر خاصة أننا نسكن هناك في الشقق المفروشة ودخلي الوحيد لا يتجاوز الألف ريال.

وبجوارني جار لي أنظر إلى بيته المتهالك ولديه مريض يذهب به كل حين إلى المستشفى في المدينة البعيدة عنا ويعاني

ما أعاني منه .

ويوماً زارني وقال: موعد مريضني اقترب وليس لدي أي مبلغ، اقترضني ستمائة ريال. عندها تذكرت حالي حين السفر ورحمت الرجل وعطفت عليه وإن كانت حالنا واحدة وقلت له لدي ثلاثمائة ريال، ودعني أدخل داري اسأل زوجتي لعل عندها مبلغ آخر.

فدخلت وسألتها قالت لدي ثلاثمائة ريال أتى بها أخي اليوم خذها، فناولت الرجل ستمائة ريال هي كل ما نملك؛ وأنا اتفكر في موعد ابنتي ومن أين لي ما يعينني على السفر إذا جاء مواعدها.

وكذلك أفكر في كسوة العيد لي ولأبنائي فلم يبق إلا أيام. وكنت متفائلاً إن الله سيعوضني قبل العيد وقبل موعد ابنتي. فما تعودنا من الكرم إلا الكرم ومن الجواد إلا الجواد.

وبعدها بيوم وقد صليت العشاء اتيت إلى منزلي وجلست بجوار دكة عملت بالحصى خارج المنزل وأنا أفكر في العيد وملابس الأطفال. فإذا بسيارة قد أقبلت من بعيد وقصدتني والأرض ليس فيها أسفلت وكانت تيسير بسرعة حتى توقفت

ولم أر السائق ومن معه، لكن قمت لهم ورحبت من بعيد وقصدت باب السائق فأشار إلى أن أذهب إلى الباب الآخر؛ فإذا رجل قد وضع غترته على طرف وجهه ومع الظلام لم أكن لأعرف من هو فناولني مظروفاً ولم يتفوه بأي كلمة، وتحركت السيارة بسرعة.

لحظات لم أعرف شيئاً إلا أن المظروف بيدي. دخلت منزلي فإذا بالمظروف مبلغاً من المال.

جاءت زوجتي وأبناي وأخذنا ننظر إليه ونتأمله، وأخذنا فإذا به ستة آلاف ريال.

قالت زوجتي ممازحة لي نصف المبلغ فقد اعطيتك لجاننا ثلاثمائة ريال.

بقيت أفكر من هو هذا الرجل ومن أرسله؟

وسألت عن نوع السيارة في بلدتنا فلم يعرفها أحد لا شكلاً ولا لوناً.

علمت أن الله ساقه إليّ وعوضني خيراً مما أنفقت، رفعت يدي شاكراً ربي حامداً فضله وجوده وكرمه.

وقفه:

قال ابن القيم - رحمه الله - : وقد دل النقل والعقل
والفطرة وتجارب الأمم - على اختلاف أجناسها ومللها
ونحلها - على أن التقرب إلى الله رب العالمين ، وطلب
مرضاته ، والبر والإحسان إلى خلقه ، من أعظم الأسباب
الجالبة لكل خير ، وأضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل
شر ؛ فما استجلبت نعم الله - تعالى - واستدفعت نِقْمَهُ بمثل
طاعته والتقرب إليه ، والإحسان إلى خلقه .

أقبل الليل

في جلسة أخوية توافقنا مجموعة من الزملاء للقيام برحلة نهاية الأسبوع إلى منطقة برية، تبعد عن مدينتنا ثلاث ساعات أو تزيد.

رتبنا أمر الرحلة وتجهزنا بما نحتاج. وما أمسينا ليلة الثلاثاء إلا وأمورنا قد كانت على أحسن حال. وحينما قررنا السير ظهر يوم الأربعاء اخترنا أميراً لرحلتنا؛ اتباعاً للسنة وتحقيقاً للألفة.

وحاولت (مشاغبة) الزملاء كما يقال، وأردت أن أكون الأمير، فرفضوا ووافقوا بعد مشقة فضاً للنزاع، وتطياً لخاطري - كما قالوا - أن أكون أميراً عند العودة، واشترطت عليهم الطاعة. فوافقوا.

مكثنا مساء الأربعاء ويوم الخميس وصدر يوم الجمعة، ثم قررنا العودة بعد رحلة جميلة، طاب فيها نبات الأرض وهواء السماء، ورفقة الصحب.

بدأنا بنقض الخيام، وترتيب الأمور، ووضع كل شيء في مكانه، فنحن نحرص على الترتيب والنظام.

ذكرنا أحدهم وهو يطوي فراشه وقال بصوت مرتفع: هذه حال الدنيا نزول وارتحال.. ها نحن بالأمس نزلنا واليوم نرتحل. وأخذ يردد بصوت عذب:

هكذا نحن نزلنا وارتحلنا

وهكذا الدنيا نزول وارتحال

استويت على المعقد الأمامي، وقلت بصوت مسموع: أنا أمير الرحلة.

قالوا: نعم.

قلت: هيا استعدوا...

وكان في نفسي أن أذهب عصر ذلك اليوم إلى مكان يبعد عن مكاننا بمسافات بعيدة، وأخبرت من معي من الزملاء، فامتعض البعض، وبدت عليهم آثار الغضب وعدم الموافقة، لكنهم أخيراً أجابوا: بنعم، امثالاً لأمر الأمير، وهم بين موافق ورافض لضيق الوقت. لكن هناك أمراً لا أعلمه يجذبني إلى هدفي ومقصدي.

تفريج الكرب

سرنا أكثر من ساعة، وقد جدَّ بنا المسير وخيم الصمت على الجميع، ولا أعلم لماذا توجهت إلى ذلك المكان، وكأن هناك من يدعوني إليه . . .

وعندما ابتعدنا عن الطريق الأسفلتي وأخذنا الطريق الترابي بدأت الشمس تنحدر نحو المغيب ومع ذلك ما زلنا نسير . . .

هوى ساجداً عندما أقبلتُ من بعيد، وعلمت حينها أنها سجدة شكر لله، وأن الرجل في ضيق وكرب. ولما اقتربت منه بسيارتي ظهرت لي معالم سيارة عالقة في رمال غزيرة، وصعب على الرجل إخراجها من هذا المكان.

توقفت على بعد وترجلت ومن معي من رفقاء رحلتنا، ولما اقتربت سلمت؛ فهشّ وبشّ وقال: الحمد الذي أتى بكم، ذهب كل يومي وأنا أحاول إخراج السيارة من الرمال ولم أستطع . . . وهاهو الليل قد أقبل ومعني زوجتي وبناتي جعلتهن خلف كثبان الرمال.

حييته وقلت الأمر سهل ولدينا (ونش) ونحن عصبية من الشباب لن نتركك، ولكن قبل هذا دعنا نعطيك طعاماً وشراباً، قال: نريد ماءً فقد نفذ ما لدينا أو قارب.

أخذ الماء بيد مليئة بالتراب وبها آثار جروح من أثر العمل في إخراج السيارة، ونادى ابناً له لم يتجاوز العاشرة، وقال: اسق أهلك.

ثم حدثنا بما جرى له قائلاً: خرجنا من بعد صلاة الفجر مباشرة نشد الراحة والهدوء بعيداً عن المدينة وضوضائها واخترنا مكاناً غير مطروق، نريد أن نستمتع بالمكان الجميل والأجواء الساحرة، وحين وصلنا هنا مع شروق الشمس ترنحت السيارة وتوقفت وسط هذه الرمال . . ولم يكن معي إلا هذا الابن الصغير وزوجتي وبناتي.

ظننت الأمر يسيراً، فأخذت أعمل لوحدي وأحاول إخراجها قدر المستطاع وزوجتي وبناتي يدعون الله أن يأتي بالفرج.

ولما طال الوقت وقام قائم الظهرية لم أتوقف . . وحين أقبل ظلام الليل ومالت الشمس نحو الغروب . . ازداد الخوف وارتفعت أصوات البكاء، فنحن هنا في منطقة لا يطرقيها إلا القليل! بل ونحن في آخر أيام الإجازة الأسبوعية، وقل من يخرج إلى البر في وسط الأسبوع.

نفرج الكرب

سارع الشباب في دفع ورفع السيارة بصعوبة بالغة وتحت أنوار سيارتهم فقد حل الظلام، وبعد جهد جهيد تحركت من مكانها، وشكرنا بحرارة وهو يقترب نحونا ويقول: لي طلب أخير.

قلنا له: لك أن نلبي ما نستطيع.

قال: أسير خلفكم حتى أصل الطريق الأسفلتي!

قلنا له: بل حتى أنوار المدينة.

تجاذبنا أطراف الحديث مع رفقاء الرحلة، فكان أن أجمعوا عليّ بقولهم.. نعم الأمير يتفقد رعيته. أخذنا في التفكير في أمر الدعاء.. وكانت أعظم قصة نرويها لأهلنا وذوينا.

وقفة:

قال عليّ بن الحرارة: كانت أمي مقعدةً نحو عشرين سنة، فقالت لي يوماً: اذهب إلى أحمد بن حنبل، فسأله أن يدعو لي، فصرت إليه فدفعت الباب، قال: من هذا؟ فقلت: أنا رجلٌ من أهل ذاك الجانب، سألتني أمي وهي زمنةٌ مقعدة، أن أسألك أن تدعو لها. فسمعتة يقول، وهو كالغضب: نحن أحوج إلى أن تدعو لنا، فولّيت منصرفاً،

فخرجت امرأةً عجوز من داره، فقالت: أنت الذي كلمت
أبا عبد الله، قلت: نعم، قالت: قد تركته يدعو لها، قال:
فجئتُ من فوري إلى البيت، فدفعت الباب؛ فقامت أمِّي
على رجليها تمشي حتى فتحت الباب، وقالت: قد وهبَ
الله لي العافية»^(١).

(١) كتاب الرقة، لابن قدامة، ص ١٩٠.

إلى كل مكروب

قال الإمام البصري: عجباً لمكروب غفل عن خمس آيات من كتاب الله - عز وجل - وعلم فوائدها:

* قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَنَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٤﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

* وقال تعالى: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١١١﴾ فَوَقَّهٖ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِعَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿١١٢﴾﴾ [غافر: ٤٤ - ٤٥].

* وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤].

* وقال - تعالى - ليونس عليه السلام: ﴿وَذَا التَّنُونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْتَضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَجَّيْنَاهُ مِنَ
الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُصَيِّحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴿[الأنبياء: ٨٧ - ٨٨].

* وقال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ
وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّ
وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ
﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وقفه:

* قال رجل لابن مبارك: يا أبا عبد الرحمن، قرحة
من ركبتي خرجت منذ سبع سنين، وقد عالجتها بأنواع
العلاجات، وسألت عنها الأطباء، فلم أنتفع بهم، فماذا
أفعل؟ قال: اذهب فانظر موضعاً يحتاج الناس للماء فاحفر
بئراً، فإنني أرجو من الله أن يمسك عنك الدم. ففعل وبرى
الرجل [صحيحي الترغيب].

* كان علي بن الحسن يحمل الخبز بالليل على ظهره
يتبع المساكين في الظلمة ويقول: إن الصدقة في الليل تطفيء
غضب الرب (١).

خرج مهموماً

قال شفيق بن إبراهيم: بينما نحن ذات يوم عند إبراهيم ابن أدهم: إذ مر رجل فقال إبراهيم: أليس هذا فلان؟ ف قيل: نعم.

قال للرجل: أدركه فقل له: قال لك إبراهيم: لِمَ لَمْ تسلم؟

فقال له فقال: والله إن امرأتي وضعت وليس عندي شيء فخرجت شبه المجنون.

قال: فرجعت إلى إبراهيم، فقلت له، فقال: إنا لله، كيف غفلنا عن صاحبنا حتى نزل به هذا الأمر؟

وقال: يا فلان! أنت صاحب البستان فاستسلف منه دينارين، فادخل السوق فاشتر له ما يصلحه بدينار، وادفع الدينار الآخر إليه. فدخلت السوق فأوقرت بدينار من كل شيء، وتوجهت إليه فدققت الباب.

فقال امرأته: من هذا؟

قلت: أنا - أردت فلاناً - .

قالت: ليس هو هاهنا.

قلت: فمري بفتح الباب وتنحّي، قال: ففتحت الباب. فأدخلنا ما على البعير وألقيته في صحن الدار وناولتها الدينار.

فقالت: على يدي من بعث هذا؟

فقلت: قولي على يد أخيك إبراهيم بن أدهم. فقالت: اللهم لا تنس هذا اليوم لإبراهيم (*)^(١).

وقفه: قال سالم بن أبي الجعد: خرجت امرأة ومعها صبي لها، فجاء ذئب فاختلس منها الصبي، فخرجت في أثره، وكان معها رغيف، فعرض لها سائل فأطعمته، فجاء الذئب بصبيها حتى رده عليها، فهتف هاتف: هذه لقمة بلقمة^(٢).

(*) أي: أعظم له الأجر وأجزل له الثواب، وإلا فهو - سبحانه وتعالى - لا ينسى.

(١) صفة الصفوة ٤/ ١٥٥.

(٢) تنبيه الغافلين ص ٥٢١.

أمرٌ سهل وأجرٌ عظيم

لا تظن أيها الأخ الحبيب أن أبواب الصدقة مقتصرة على نفقة المال فحسب، بل هناك أنواعاً من الصدقة كثيرة دون المال، فمن ذلك ما قاله الرسول ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً لو أن تلقى أخاك بوجه طليق» [رواه مسلم].

ومنها ما رواه أبو ذر جندب بن جنادة - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله! أي العمل أفضل؟ قال: «الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله».

قلت: أي الرقاب أفضل؟

قال: «أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمناً».

قلت: فإن لم أفعل؟

قال: «تعين صانعاً أو تصنع لأخرق».

قلت: يا رسول الله! أرايت إن ضعفت عن بعض

العمل؟

قال: «تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على

نفسك».

وفي حديث آخر جمع فيه الرسول ﷺ أنواعاً من الصدقة حيث قال: «كل سلامي من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس: تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل على دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة»^(١).

ومن أعظم أنواع الصدقات صدقة الجاه، وقضاء حوائج الناس، والشفاعة لهم، خاصة في هذا الزمن؛ قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلقاً خلقهم لحوائج الناس، يفرع الناس إليهم في حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله»^(٢).

ومن أعظم الصدقات إصلاح ذات البين، فقد قال رسول الله ﷺ: «أفلا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إصلاح ذات البين»^(٣).

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الطبراني.

(٣) رواه أبو داود.

دعاء الكرب من السنة

لا يخلو إنسان من هموم وغموم بعضها طارئ وبعضها قد يطول أمده، لكن لا يغيب عن مسلم دعوات إزالة الكرب وتفريج الهم والاستعاذة منه:

* عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات، ورب الأرض، ورب العرش الكريم» [رواه البخاري مسلم].

قال الإمام النووي: هو حديث جليل، ينبغي الاعتناء به، والإكثار منه عند الكرب والأمور العظيمة.

وقال الطبري: كان السلف يدعون به، ويسمونه دعاء الكرب، فإن قيل: هذا ذكر وليس فيه دعاء، فجوابه من وجهين مشهورين: أحدهما: أن هذا الذكر يستفتح به الدعاء ثم يدعو بما شاء. والثاني: جواب سفیان بن عيينة، قال: أما علمت قوله تعالى: «من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين».

* عن أسماء بنت عميس قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك كلمات تقولينه عند الكرب - أو: في الكرب -: «الله الله ربي؛ لا أشرك به شيئاً» [رواه أبو داود].

* وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «ما قال عبد قط إذا أصابه هم وحزن: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك: سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي إلا أذهب الله - عز وجل - همه، وأبدله مكان حزنه فرحاً». قالوا يا رسول الله: ينبغي لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات؟ قال: «أجل. ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن» [رواه أحمد].

* عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال» [رواه أبو داود].

* عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها

رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له» [رواه الترمذي].

* عن أبي بكر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو؛ فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت» [رواه أبو داود].

* ولا يغيب عن المهموم والمغموم الانطراح بين يدي الله - عز وجل - وإظهار الحاجة والفاقة، وكثرة الدعاء لمن مسته نائبة من نوائب الدهر.

فالمرأة التي ضاقت أمورها الزوجية تدعوا الله - عز وجل - أن يصلح زوجها ويرده إليها رداً جميلاً، والأخرى ممن نابتهن نائبة من عقوق الأبناء عليهن بكثرة الدعاء بصلاحتهم وهدايتهم. وهكذا فالدعاء من أعظم أسباب زوال الكربات وصلاح الأحوال.

أحاديث قضاء الدين

عامة الناس ترهقهم الديون وتتوالى عليهم المطالب، وفي زمننا الذي توسع فيه الناس في الأمور المادية، كثرت المتعلقات على الإنسان وربما ركبت الديون، وهذه جملة من أحاديث المصطفى ﷺ في قضاء الدين.

* عن علي - رضي الله عنه - : أن مكاتباً جاءه فقال: إني قد عجزت عن كتابتي؛ فأعني. قال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ لو كان عليك مثل جبل صير ديناً أداه الله عنك؟ قال: «قل: اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عن سواك» [رواه الترمذي].

* عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ: «ألا أعلمك دعاء تدعوه لو كان عليك مثل جبل أحد ديناً لأداه الله عنك قل يا معاذ: اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء، وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير. رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، تعطيهما من تشاء، وتمنع منهما من تشاء، ارحمني

رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك» [رواه الطبراني].

* قال رسول الله ﷺ «من أصابه هم أو غم أو سقم أو شدة

فقال: الله ربي لا شريك له كشف ذلك عنه» [رواه الطبراني].

* قال رسول الله ﷺ «دعوات المكروب: اللهم رحمتك

أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا

إله إلا أنت» [رواه أحمد وأبو داود].

* قال رسول الله ﷺ: «كان إذا نزل به هم أو غم قال: يا

حي يا قيوم برحمتك أستغيث» [رواه الحاكم].

نفع الناس

يدخل في ذلك قضاء حوائج الناس: تفريج كرباتهم، وإزالة شدائدهم، وعبادة مرضاهم، وتشجيع جنائزهم، وإرشاد ضالهم، وإعانة من يعمل عملاً، والعمل لمن لا يحسن العمل، والإحسان إليهم بالعلم ونشره بينهم، وكذلك الإحسان بالرقية الشرعية لمن كان عارفاً لها، والسعي في تزويج الفتيات ودلالة الطيبين على البيوت الطيبة ونحو ذلك في الإحسان الذي أمر الله به.

وقال - عز وجل - مبيّناً محبته لأهل الإحسان: ﴿فَفَاتَنَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ مُجِيبُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران: ١٤٨].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨].

وقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [العنكبوت: ٩١].

تفريج الكرب

* نفع الناس والسعي في كشف كربهم من صفات الأنبياء والرسل، فالكريم يوسف - عليه السلام - مع ما فعله إخوته من الإضرار به وإلقائه في البئر، إلا أنه أحسن إليهم وجهازهم بجهازهم، ولم يبخسهم شيئاً منه.

وموسى كليم الله - عليه السلام - لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون، ووجد من دونهم امرأتين مستضعفتين، فأحسن إليهما ورفع الحجر عن البئر وسقى لهما حتى رويت أغنامهما.

وخديجة - رضي الله عنها - تقول في وصف النبي محمد ﷺ: «إنك لتصل الرحم وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق» [رواه البخاري]، وأشرف الخلق محمد ﷺ إذا سئل عن حاجة لم يرد السائل عن حاجته، يقول جابر: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا.

نبلاء الإسلام وأعلام الأمة شأنهم قضاء الحوائج، يقول ابن القيم - رحمه الله - عن ابن تيمية: «كان شيخ الإسلام يسعى سعياً شديداً لقضاء حوائج الناس».

بهذا جاء الدين: علم وعمل، عبادة ومعاملة.

بل والإحسان يمتد إلى الحيوان ، فقد قال ﷺ : « إن امرأة بغياً رأت كلباً في يوم حار يطيف ببيئر قد أدلع لسانه من العطش ، فنزعت له بموقها فغفر لها » [رواه مسلم] .

وعلى عكس ذلك هاهي امرأةٌ تعدت وظلمت : عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : « عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً ، فدخلت فيها النار » قال : فقال : - والله أعلم - « لا أنت أطعمتها ولا سقيتها حين حبستها ، ولا أنت أرسلتها فأكلت من خَشَاشِ الأرض » [رواه البخاري] .

للرجال مواقف

قال محدثي: يسر الله أمر الذهاب إلى الحج، واكتتبت في إحدى الحملات التجارية وبصحبتي زوجتي وأصغر ابنائي. وكانت مناسك الحج ميسرة والله الحمد. إلا أنه في اليوم الأول من أيام منى، ونحن جلوس داخل الخيام سمعنا صوتاً ينادي: حريق. حريق؛ اخرجوا من الخيام.

كانت النار أسرع من الصوت فقد كان الهواء شديداً والنار مشتعلة من جميع الجهات. مشهد من المشاهد التي لا تتكرر؛ تذكرك بيوم القيامة.

الكل هرب على وجهه لا يلوي على أحد. الأب ترك ابنه والأم تركت وليدها. والناس يسرعون في الاتجاهات الأربع منهم من يهرب شمالاً والآخر جنوباً. بل كان هناك من يتجه نحو النار وهو لا يعلم أين يسير؟

تطاير الشرار وعمت النار المخيم وارتفعت أصوات النساء والأطفال بالصراخ والعيويل. هناك من أصيب بالحروق وهناك الحالات الأكثر من أصابة من جراء التدافع والسير

وسط الخيام التي في أطرافها جبال مشدودة إلى الأرض .
فكان الرجل يسير سريعاً ثم ترى به قد هوى إلى الأرض
من جبل أمسكه . وكان الموقف عجباً رهيباً . أحدهم ذكر لي
فيما بعد أنه لم يقف إلا عندما رأى منارات الحرم من شدة
الهلوع . أما النساء فقد تفرقن في كل واد .

وبعد ساعات عندما هدأت النار . . اجتمع من كان قريباً
من أهل المخيم . وإذا بصاحب الحملة يضرب يداً بأخرى ما
يفعل وكيف يصنع ، وكان معه مكبر صوت يدوي ، يهدأ
الناس ويطمأنهم ويدعوا لهم .

قال محدثي : فأخذته منه وناديت الرجال والنساء : من
معه مال؟ ومكثت أردد : يا أخوان هذا وقت المال ، أخرجوا
ما معكم لنعين الرجل وينتهي حزنه وضائقته .

فكان أن تداعى القوم وجمعت له ما يقارب من ستين ألفاً
من الريالات .

وقلت له : هاك المبلغ وتدبر أمرك وهبى لنا سكناً .
موقف وقفته - أرجوا ما عند الله - لهذا الرجل الذي
حرى له أمر ليس في حسابانه ونالته الضائقة .

أسأل الله أن يفرج كربتي ويزيل همي بما قمت به من تفريج ضائعة صاحب الحملة والتفاف الناس حوله .

✽ وقفة:

قال بعض العلماء: من رحمة الله بعباده أن المبتلى إذا صدع بدعائه وكان صادقاً، فإن الله يفرج كربته وزيادة، ولذلك قال تعالى: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ، وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ، وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا، وَذَكَرْنَا لِلْعَبِيدِ

﴿٨٤﴾ [الأنبياء: ٨٤].

لا تسأل الناس

اقترب وقت الأذان وهو سائر في طريقه فأوقف سيارته ودخل المسجد. لم يكن حاضراً في المسجد سوى المؤذن، أدى تحية المسجد، وقرأ من حفظه ما تيسر حتى أقيمت الصلاة.

وحين انتهى الإمام من صلاته. قام رجل كفيف عليه آثار الفقر والفاقة وسأل الناس وذكر أنه أب لصبية صغار ولا يجد قوت يومه، وقد أثقلته السنون وأدركته مشقة الأيام. ثم ذهب وجلس بجوار باب المسجد لعله يحظى بصدقة من يد أحدهم.

أما صاحبنا؛ صاحب الهمة العالية في الحضور إلى المسجد مبكراً، فإنه ذو همة في الصدقة. فقد انتظر حتى خلا المسجد من المصلين وجلس بجوار الرجل الفقير وقال: تعال معي اركبك في سيارتي إلى بيتك.

وافق الرجل وتحدث معه وعلم أنه من بلدة قريبة من بلده. وذكر له حاله وفقره.

تفريج الكرب

قال الرجل المحسن: كل شهر يأتيك إلى دارك راتباً وقدره (كذا) وحدد المبلغ ولكن بشرط أن لا تقف على أبواب المساجد تسأل الناس.

وافق الفقير على شرطه. وكان المحسن يتعهده كل شهر بما اتفقا عليه.

فرج كربته، وأزال فقره، وحفظ ماء وجهه. وقال له: أسأل من بيده خزائن السموات والأرض أن يفرج همك ويكشف غمك.

* جاء في ترجمة أمّ جعفرَ زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور - رحمها الله -، زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد - رحمه الله - أنه كان لها معروفٌ كثير، وفعلٌ خير.

قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي في كتاب [الألقاب]: إنها سقت أهل مكة الماء، بعد أن كانت الرّأوية «قربة الماء» عندهم بدينار! وإنها أسالت الماء عشرة أميال - أي لتوصله إلى أهل مكة - بهدم الجبال ونحت الصخور والكهوف الجبلية، حتى غلغلته وأوصلته من الحل إلى أهل الحرم، وعملت عقبة البُستان - وهي أشبه بالنفق داخل الجبل -؛

لِيَتَفَعَّ بِهَا الْمُسْلِمُونَ، فَقَالَ لَهَا وَكَيْلُهَا: يَلْزِمُكَ نَفَقَةٌ كَثِيرَةٌ لِإِتِمَامِ بِنَاءِ تِلْكَ الْعَقْبَةِ!! فَقَالَتْ لَهُ: اْعْمَلْهَا، وَلَوْ كَانَتْ ضَرْبَةً فَأَسْ بَدِينَارٍ، فَبَلَغَتْ النَّفَقَةُ عَلَيْهِ أَلْفَ أَلْفٍ وَسَبْعِمِائَةَ أَلْفٍ دِينَارًا.

* قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ سَلِيمَانَ: «حَجَّتُ أُمَّ جَعْفَرِ زَيْدَةَ عَامًا مِنَ الْأَعْوَامِ، فَبَلَغَتْ نَفَقَتَهَا عَلَى الْمَسَاكِينِ وَالْفُقَرَاءِ فِي الْحَجِّ، فِي سِتِينَ يَوْمًا، أَرْبَعَةً وَخَمْسِينَ أَلْفَ أَلْفٍ».

* وَرَأَاهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ لَهَا: «مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟» فَقَالَتْ: «غَفَرَ لِي بِأَوْلٍ مَعُولٍ - أَيِ فَأْسٍ - ضُرِبَ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ»^(١)!

(١) كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان: (٢/٣١٤ - ٣١٥٩).

الأجور العظيمة

الإحسان إلى المخلوقين ومسايرة الضعفاء والمساكين دليل على: طيب المنبت، ونقاء الأصل، وصفاء القلب، وحسن السريرة؛ ومن سعى في نفع إخوانه المسلمين والإحسان إليهم فليشر بالأجر العظيم والثواب الجزيل، ومن الأجور العظيمة لقاء القيام بهذه الأعمال:

١- رضا الله - عز وجل - والتقرب إليه بالأعمال الصالحة التي تنفع العباد.

٢- محبة الله - عز وجل - للمحسنين وأنه معهم، وكفى بذلك فضلاً وشرفاً، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

٣- من أسباب دخول الجنة، قال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة» وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى .

٤- أن الله - عز وجل - يتولى قضاء حوائج المحسنين إلى عباده، قال ﷺ: «من كان في حاجة أخيه؛ كان الله في حاجته» [متفق عليه].

٥ - أن الله - عز وجل - ينفس عن عباده المحسنين كربات يوم القيامة، قال ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» [رواه البخاري].

وقال ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّيهَ اللَّهُ مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ فَلْيُنْفَسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ» [رواه البخاري].

٦ - الساعي لقضاء حوائج الناس موعود بالإعانة، مؤيد بالتوفيق، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه. وفي خدمة الناس والقيام بأموالهم بركة في الوقت والعمل، وتيسير ما تيسر من الأمور، يقول النبي ﷺ: «مَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ؛ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ». [رواه مسلم].

٧ - سبب لدفع الرزايا والبلايا ودفع الأمراض، والعافية من الأسقام.

٨ - ببذل المعروف والإحسان إلى الخلق تحسن الخاتمة، وتُصرف ميتة السوء قال ﷺ: «صَدَقَةُ السَّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ، وَفِعْلُ الْمَعْرُوفِ يَبْقِي مِصْرَاعَ

السُّوءِ» [متفق عليه].

٩ - تُلِينُ الْقَلْبَ : فعن أَبِي الدَّرْدَاءِ - رضي الله عنه - قال :
قال رسول الله ﷺ : «أُحِبُّ أَنْ يَلِينُ قَلْبُكَ، وَتُدْرِكَ حَاجَتَكَ؟
ارْحَمِ الْيَتِيمَ، وَامْسُخْ عَلَى رَأْسِهِ، وَأَطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِكَ، يَلِينُ
قَلْبُكَ، وَتُدْرِكَ حَاجَتَكَ» [السلسلة الصحيحة برقم ١٩٠٨].

١٠ - الرِّفْعَةُ وَعِلْوُ الْمَنْزَلَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِلْمُحْسِنِينَ
قال ﷺ : «... وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي
الْآخِرَةِ» [رواه أحمد].

١١ - الْأَجْرُ الْعَظِيمُ عَلَى مَنْ اغْتَنِمَ جَاهَهُ وَسَعَى فِي نَفْعِ
الْمُسْلِمِينَ، يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - : «مَنْ مَشَى
بِحَقِّ أَخِيهِ لِيَقْضِيَهُ فَلَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ صَدَقَةٌ».

وَلَا تَحْقِرَنَّ مِنْ صِنَائِعِ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا : اسْتَطْعَمَ مَسْكِينٌ
عَائِشَةَ - رضي الله عنها - وَبَيْنَ يَدَيْهَا عَنَبٌ، فَقَالَتْ لِإِنْسَانٍ :
«خُذْ حَبَّةً فَأَعْطِهِ إِيَّاهَا»، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَيَعْجَبُ، فَقَالَتْ
عَائِشَةُ : «أَتَعْجَبُ؟ كَمْ تَرَى فِي هَذِهِ الْحَبَّةِ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ؟».

قال تعالى : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة : ٧ - ٨].

١٢ - ثقل الميزان عند الرحمن بالإحسان: فعن ابن المنكدر - رحمه الله - قال: قال رسول الله ﷺ: «من أفضل العمل إدخال السُرور على المؤمن، تقضي عنه ديناً، تقضي له حاجة، تنفس له كربة» [رواه ابن حبان].

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال رسول الله ﷺ: «أحبُّ النَّاسِ إلى الله أنفعُهُم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى الله سرورٌ تدخله على مُسلم، أو تكشفُ عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطردُ عنه جوعاً، ولأنَّ أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحبُّ إليَّ من أن أعتكفَ في المسجد شهراً، ومن كف غضبه، ستر الله عورته، ومن كظم غيظاً - ولو شاء أن يمضيه أمضاه - ملأ الله قلبه رضاً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله - تعالى - قدمه يوم تزل الأقدام، وإنَّ سوء الخلقِ يُفسدُ العمل، كما يُفسد الخل العسل» [رواه البيهقي].

١٣ - الأمان يوم الفزع، والطمأنينة في يوم الهلع، والاستظلال في ظل عرش الرحمن يوم تदनو الشمس من كل إنسان: فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا؛ نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر،

تفريج الكرب

يَسِّرُ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» [رواه الطبراني].

وعن قبيصة بن برمة الأسلمي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا، هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ، وَإِنَّ أَهْلَ الْمُنْكَرِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الْآخِرَةِ» [رواه مسلم].

١٤ - دفع البلاء وجلب الخير: قال ابن القيم - رحمه الله -: «وقد دل العقل والنقل والفطرة وتجارب الأمم، على اختلاف أجناسها ومللها، على أن التقرب إلى رب العالمين والبر والإحسان إلى خلقه، من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير، وأن أضرارها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر، فما استجلبت نعم الله واستدفعت بمثل طاعته والإحسان إلى خلقه».

١٥ - سعادة وانسراح صدر من يرعى مصالح المسلمين ويقوم على إغاثتهم؛ لأنها من الأعمال الصالحة التي يحبها الله - سبحانه وتعالى - ويرضاها.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله -: «عنوان سعادة العبد، إخلاصه للمعبود وسعيه في نفع الخلق».

١٦- أن صاحب المعروف من خيار الناس، كما قال رسول الله ﷺ: «خيرُ النَّاسِ أنْفَعُهُم للنَّاسِ» [صحيح الأدب المفرد].

١٧- أن في قيامك بالمعروف وبذل الندي بقاء لنعم الله - عز وجل - عندك، فقد قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ عندَ أقْوَامٍ نِعْمًا، أَقْرَبُهَا عندهم ما كانوا في حوائج المسلمين، ما لم يَمْلُوهَا، فإذا ملوهم نقلها إلى غيرهم» [رواه الطبراني].

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه كان إذا بعث عماله شرط عليهم أموراً؛ منها «ولا تُغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس، فإن فعلتم شيئاً من ذلك، حَلَّتْ بكم العقوبة...».

١٩- كثرة الصدقات التي يسرك رؤيتها في صحيفتك يوم القيامة، فإعن علقمة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «كل معروفٍ صنعته إلى غنيٍّ أو فقيرٍ، فهو صدقةٌ» [رواه الطبراني].

متطَبَّاتُ الإِحْسَانِ

الإحسان ونفع الناس عبادة عظيمة. وحتى يؤديها المسلم على الوجه الصحيح، يجب أن يراعي عدة أمور:

١ - الإخلاص في العمل لله - عز وجل -، وأن يقصد بعمله وجه الله - عز وجل - ونفع أخيه المسلم.

قال ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى...» [رواه مسلم]، لا يقصدُ بذلك مدحاً أو ثناءً أو جأهاً عند قومه، أو غير ذلك من حظوظ الدنيا.

قال عون بن عبد الله - رحمه الله تعالى - : «إِذَا أُعْطِيَ الْمَسْكِينُ شَيْئاً، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ، فَقُلْ أَنْتَ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ، حَتَّى تَخْلَصَ لَكَ صَدَقَتُكَ»^(١).

وقد روي مثل ذلك عن عائشة - رضي الله عنها - .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فَمَنْ كَانَ مُخْلِصاً فِي أَعْمَالِ الدِّينِ، يَعْمَلُهَا لِلَّهِ؛ كَانَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ أَهْلَ النِّعَمِ الْمُقِيمِ»^(٢).

(١) حلية الأولياء: (٣/١٤٠).

(٢) مجموع الفتاوى: (٨/١).

٢ - البعد عن الرِّياء وحب الظهور والرياسة، وكذلك العجب بعمله والتحدث به .

قال ابن القيم - رحمه الله - : « لا شيء أفسد للأعمال من العجب ورؤية النفس ، ولا شيء أصلح لها من شهود العبد منة الله وتوفيقه والاستعانة به والافتقار إليه وإخلاص العمل »^(١) .

ولهذا كان الإخلاص شاقاً، قال سهل بن عبد الله - رحمه الله - : « ليس على النَّفس شيءٌ أشقُّ من الإخلاص ، لأنَّه ليس لها فيه نصيبٌ »^(٢) .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية حديث المرأة البغي التي سقت كلباً فغفر الله لها . والرجل الذي أمارط الأذى عن الطريق فغفر الله له ، ثم قال - رحمه الله - : « فهذه سقت الكلبَ بإيمان خالص كان في قلبها فغُفِرَ لها ، وإلا فليس كلُّ بغيٍّ سقتْ كلباً يُغْفَرُ لها ، فالأعمالُ تتفاضلُ بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإجلال »^(٣) .

(١) الفوائد: ص ٦٤ .

(٢) جامع العلوم والحكم: (٢١/١) .

(٣) منهاج السنة النبوية : (٢١٨/٦) .

تفريج الكرب

٣ - أن لا تجر هذه المصلحة التي تقدمها نفعاً لك في الدنيا، فتشفع لفلان حتى يشفع لك في موطن آخر، أو تقدم الإحسان إلى من عرفت انتظارك حاجة قد تطلبها منه مستقبلاً.

٤ - الحذر من المن والأذى، وقد قال الله سبحانه وتعالى:
﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ
حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣] فالمنة تهدم الصنعة، ولا خير في
المعروف إذا أحصي.

٥ - عدم انتظار رد الجميل، وتوقع النفع من الطرف الآخر؛ لأنك قدمت له إحساناً.

٦ - للإحسان ثلاث خصال جميلة في المحسن، فقد قال
جعفر بن محمد لسفيان الثوري - رحمهما الله تعالى -: «لا
يتم المعروف إلا بثلاثة: بتعجيله، وتصغيره في عينك حتى
إذا كان كبيراً، وستره»^(١).

أخي المسلم: إن كان هناك من يُحسنُ إليك ويحنو عليك
فأنت صاحبُ حاجة، فعلى طالب الحاجة والشفاعة:

(١) صفة الصفة: (١٦٩/٢).

- أن لا يطلبَ الحوائجَ إلا من أهلها، ولا يُحرجَ أخاه المسلم بما لا يستطيع، كأن تأتي إلى أخ لك وتطلبَ ما لا يستطيعُه فترهقه وتغمُّ قلبه وأنت تعلمُ أنه لا يستطيع إلا بمشقة.

- وأن لا يطلبَ حاجته في غير حينها.

- وأن لا يطلبَ ما لا يستحقُّ، فإنَّ من طلب ما لا يستحقُّ استوجب الحرمان.

- وليتخيرَ من الكلام أطيئه، ومن القول أعجبه.

ولا لومَ على من رُدَّت شفاعته ولو عظمَ قدرُ الشافع، فقد رُدَّت امرأةُ شفاعَةَ سيِّد الخلق ﷺ حينما قال لها: «لوراجعتِ زوجك فإنه أبو ولدك» قالت: يا رسول الله، أتأمرني؟ قال: «لا، إنما أنا شافعٌ» قالت: فلا حاجة لي فيه [متفق عليه].

وإذا قُضيت حاجة المرءِ فينبغي الثناء على الشافع وعلى المشفوع عنده، يقول - عليه الصلاة والسلام -: «لا يشكرُ الله من لا يشكرُ النَّاسَ» [رواه أحمد] ويقول: «من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه» [رواه النسائي].

تفريج الكرب

وقال ﷺ: «مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ» [رواه الطبراني].

وإذا قَصُرَتْ يَدُكَ عَنِ الْمَكَافَأَةِ فَلْيَصِلْ لِسَانَكَ بِالشُّكْرِ، فَخَيْرُ مَوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ مَا جَمَعَ الْأَجْرَ وَالشُّكْرَ.

وإن كانَ لِلْمَحْسَنِ عَلَيْكَ حَقُوقٌ كإِرْجَاعِ الدَّيْنِ وَرَدِّ الْقَرْضِ الْحَسَنِ؛ فَأَحْسِنُ فِي السَّدَادِ كَمَا أَحْسَنَ إِلَيْكَ فِي الْبَدءِ.

وَمَنْ اعْتَذَرَ عَنِ تَقْدِيمِ خِدْمَةِ إِلَيْكَ فَلَا تَلُمَّهُ وَتَجْعَلْهُ عَلَى لِسَانِكَ غَيْبَةً وَبَهْتَانًا، فَاللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - يَقُولُ: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١] وَلرُبَّمَا أَنَّهُ قَدْ آتَاهُ غَيْرُكَ وَتَحَمَّلَ مَا لَا تَعْلَمُهُ، وَلَيْسَ مِنَ الْمَرْوَةِ أَنْ يَخْبِرَكَ بِذَلِكَ.

جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْمُتَعَاوِنِينَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى.

الفهرس

٣ المقدمة
٥ وتوقف عملي
١٠ أم الخير
١٦ شفاعة الشيخ
٢٠ من أجود الناس
٢٦ لا أعظم من التوحيد
٣١ استمع
٣٤ الهم الكبير
٣٩ البعيد القريب
٤٥ فقير يتصدق على فقير
٥٠ أقبل الليل
٥٦ إلى كل مكروب
٥٨ خرج مهموماً
٦٠ أمر سهل وأجر عظيم
٦٢ دعاء الكرب من السنة

- ٦٥ أحاديث قضاء الدين .
- ٦٧ نفع الناس .
- ٧٠ للرجال مواقف .
- ٧٣ لا تسأل الناس .
- ٧٦ الأجر العظيمة .
- ٨٢ متطلبات الإحسان .
- ٨٧ الفهرس .